نسخُ المَسخ

خلت الطرقات من المارة في تلك الساعة المتأخرة من الليل، أوى الناس إلى بيوتهم هرباً من البرد والصقيع الشديد ــ امتلأت السماء بسحب داكنة امتزجت ببضعها البعض في سرعة من أثر الريح ــ كانت ليلة مقمرة وإن كان القمر يغيب أحياناً ويظهر تارةً أخرى وراء تلك السحب السوداء. إن كنت هناك في ذلك الطريق الجانبي تلك الساعة، لم تكن لتسمع إلّا صوت البوم وحشرات الليل وصوت زجاج نافذة يتخبط بفعل الريح ببداية نموذجية لقصة رعب. ولكنها لم تكن... فليست بقصة بل حقيقة.

انقشعت السحب فجأة فأنار القمرُ الطريق بعض الشيء. في تلك اللحظة ظهر ظل شخص يتقدم ببطء نحو بناية قديمة متهالكة وتردد صدى صوت نعاله في أرجاء المنطقة النائمة برتابة مخيفة ــ كلما امتد صوت النعال كلما صغر حجم الخيال الملقى على الأرض وصغر ــ وفجأة اختفى الظل وظهر رجل قصير ذو ملابسٍ سوداء لم يكن للرائي أن يتبينه لولا لمعان شعره الأسود الفاحم في نور القمر.

دخل الرجل البناية القديمة بثقة وفتح باب ثالث شقة على يمينه ودلف فيها وأغلق الباب.

كانت الشقة عبارة: عن معمل كبير فيه ما يحتاجه أي عالم أحياء. اقترب الرجل من بابٍ أبيض طويل ــ ومد يده ليُمسك المقبض ــ تردد قليلاً ــ ثم نظر إلى ساعته في لفهة ــ ثم إلى الباب الذي لم يكن إلا ثلاجة حفظ كبيرة ــ أمسك الرجل بالمقبض في حسم ثم فتح الباب وتراجع خطوتين إلى الخلف وحدَّق في داخل الثلاجة لوهله ثم تنهد وقال: أخيراً.

رد عليه صوت عميق من داخل الثلاجة قائلاً: نعم أخيراً.. ثم أخذ نفساً عميقاً أخرجه ببطء وهو يقول: أخيراً سنبدأ... نظر الرجل إلى ذلك الشخص الذي أخرج نفسه من الثلاجة ثم قال:ــ كيف حالك؟.

نظر إليه ذلك الشخص نظرة خالية من أية معنى ولم يتفوه ببنت شفة ــ ولكن الرجل أخذ يتأمله بإعجاب: كان طويلاً، ذو شعر أجعد ينسدل على كتفيه العريضين. عيناه غائرتان تلمعان، كثير التجاعيد خاصة على الجزء الأعلى من رأسه وجبهته.

قال الرجل القصير بعد أن تأمله: «عظيم، لقد نجحت عملية الاستنساخ تماماً ــ وأنت الآن مثلك مثل أي رجلٍ عادي... و..

قاطعه الشخص الأجعد بأن دفع باب الثلاجة بعنف فأغلقه.

نظر إليه الرجل القصير وقال متعجباً: ماذا دهاك يا سامريَ؟!.

برقَ السامريَ فيه بحدة وقال له بغضب: ماذا؟ ماذا قلت؟ تلعثم الرجل القصير بعض الشيء وقال: لم أقل ما يسيئك ـ كل ما قلته ـ قاطعه السامريَ مرة أخرى وصاح فيه: أنت أحقر من أن تقول ما يسيء إليَّ وضحك في هستيرية ـ وأشار إليه باستهزاء ـ أنت؟! أنت تسيءُ للسامري؟! أنا لست كأي رجل عادي أيها المتخلف...

وفجأة وقبل حتى أن يحاول الرجل القصير أن يدافع عن نفسه، لطمه السامري بشدة وكاد أن يصرعه.

قال له الرجل بتوسل: لا ـ لا تفعل أرجوك ـ أنا الذي أوجدتك ـ أنا صانعك ـ لا تفعل ذلك.

ولكن السامري لم يبال بتوسلاته بل انقض عليه في عنف واشتبك معه في عراك غير متكافئ بالمرة ـ فقد كان السامريَ ذو قوة رهيبة بقوة غير بشرية...

أمسك السامري برقبته في قوة لم يقدر على مقاومتها الرجل القصير الذي حاول محاولة بائسة بأن التقط مقصاً من على سطح

المعمل ــ ثم دفعه في وجه غريمه بكل ما أوتي من قوة ــ وشق المقص طريقه إلى هدفه ــ أصابه تماماً ــ صرخ السامري صرخة مدوية غطت على أصوات البوم في الخارج ــ وأمسك إحدى عينيه بألم ــ وتناثرت الدماء منها ــ ثم سقطت على وجنتيه في منظر بشع لم يره الرجل القصير فقد لفظ أنفاسه الأخيرة قبل أن يخلع عين غريمه الدجال.

اقترب الدجال في وهن إلى مرآة ونظر بعينه السليمة إلى نفسه ثم اقترب من المرآة حتى أصبح على بعد مترين منها، تحطمت المرآة فجأة وسط ضحكات الدجال الهستيرية. اقترب الدجال أكثر من بقايا المرآة حتى لامست أنفه الزجاج المكسور ونظر بعينه السليمة إلى نفسه في فخر واعتداد. ثم نظر في انعكاس المرآة المحطمة إلى جثة الرجل القصير الممدة على الأرض.

استدار في بطء ووقف أمام الجثة قليلاً، ثم انحنى ووضع يده على قلب الجثة عدة ثواني.

تردد صوت الرعد في الخارج بقوة وسطعت السماء بضوء البرق المباغت، وفي تلك اللحظة تماماً تحركت جثة الرجل القصير في بطء.

نظر الدجال إلى الجسد نظرة عميقة وخاطبها بلهجة آمرة قائلاً: «انهض.. استيقظ».

قام الرجل القصير الذي كان في عداد الموتى منذ لحظات بوهن ثم نظر إلى الرجل الدجال بدهشة شديدة ورعب لا مثيل لهما وقال له بتوتر: كيف؟! كيف.

قاطعه الدجال المستنسخ بإشارة من يده وقال له بصوت عميق: أنا قادر على كل شيء.

قام الرجل القصير بوهن وهو يسأله بدهشة: ولكن كيف استطعت؟

قاطعه الدجال مره أخرى بأن نظر إليه نظرة عميقة وقال: قلت لك إنني قادرٌ على كل شيء. إنني أنا الجبار... ثم كرر الكلمة الأخيرة بصوت عال وجنون: الجبار... . تردد صدى الكلمة في المنطقة كلها عدة مرات، وأخذت تضعف تدريجياً إلى أن تلاشت وسُمع صوت الرعد يقصف بقوة...

تلعثم الرجل القصير ثم جثا على ركبتيه في خوف أمام الرجل الدجال: وقال بخوف نعم، نعم أشهد أنك الجبار.

قهقه الدجال بجنون مرة أخرى ثم أزاح الرجل برجله في خشونة، وتقدم بحسم نحو الباب إلى الخارج ــ إلى الدنيا ــ ليبدأ في نشر دينه الجديد واختفى القمر وراء السحب المزجاة ــ وأظلمت الدنيا وعم ظلامٌ فوقه ظلام ــ وظلمٌ فوقه جحود وافتر

الشيطان عن فمه ابتسامة مقيتة ـ فها هو المسيخ المستنسخ عن السامريَ يبدأ فتنته. ولم تنته القصة... بل بدأت... فهناك من فوق السحاب بُدىء الاستعداد لرحلة أخرى... رحلة النزول ورحلة المجيء... . رحلة السلام الأبدي والخلاص... وتأهبت دمشق لاستقبال موكب الروح... . بعد طول انتظار... والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يُبعث حياً... .

obeikandl.com